مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والامنية على الساحتين الدولية والاقليمية

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

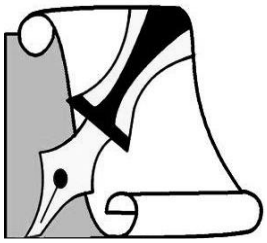

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تقدير نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية على الساحتين الدولية والإقليمية

أهداف المركز الرئيسية:

1 . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

الجولاني بين "تحرير القدس بعد إسقاط النظام"... والانخراط المُرتقَب في "السلام الإبراهيمي"!

د. لينه بلاغي

الجولاني: بين المبادئ والمصالح

دَخلَت سـوريا مؤخّرًا مرحلة تقاسـم نفوذ، علَني ورسـمي، افتَتَحه اللقاء "التاريخي" بين الرئيس السـوري أحمد الشـرع، والرئيس الأمريكي دونالد ترامب، برعاية تركية– سـعودية، مُفسِـحاً المَجال أمام انطلاق قاطرة إدخال سوريا، ولاحقاً بعض دول الإقليم، ضمن منظومة "الشرق الأوسط الجديد"، سياسياً وأمنياً. وهذا ما عَبّرت عنه العديد من المؤشّرات، وأبرزها رَفع العقوبات الأمريكية عن سوريا، إلى جانب الانفتاح الإقليمي (سيما الخليجي) والدولي، وتصريحات القيادات السورية، ومنها تصريح الجولاني حول السياسة الخارجية لسوريا "الجديدة" تجاه الكيان الإسرائيلي.

ربما يُمكن للمُتعاطي بالشـأن السـياسـي اسـتيعاب الانفتاح السـوري من أجل تأمين المصـالح الداخلية في المرحلة الراهنة، والتي لا تزال انتقاليّة بالنسبة للشعب السوري؛ إلّا أن هناك العديد من الاستفسارات والتساؤلات المُرتبطة بالبُعد الإيديولوجي لهذا الحراك، "الإيديولوجي"، بسـيرته الذاتية، و"البراغماتي" بتوجّهاته السـياسـية المُستَجدّة (للجولاني).

بين سـياسـة " التدرّج" و"واجبات المرحلة" التي تُبَرّر تعطيل الشـريعة، كما في بعض الرؤى المذهبية ومؤيّدي نهج "الشرع – الجولاني"، وبين مُقتضـيات الحكم والسلطان، كما يُبَرّره المكيافيليون، والبراغماتية المُعتمِدة على فلسـفة "الفائدة والواقع والنتيجة" (تُتّهَم جماعة الإخوان أحيانًا بتَبنّي سـياسـات ميكافيلية من حيث البراغماتية الشديدة، وتَبدّل المواقف، واستخدام الدّين كوسيلة سياسية). لكن، في المقابل، يُبَرّرون ذلك بأنه تكتيك مرحلي في مواجهة القمع، أو من أجل "المصـلحة العليا" كما يَرونها، حيث نجد أنه من الصـعب جداً تفكيك صـورة الرئيس السـوري الحالي أحمد الشـرع (الجولاني سـابقاً) عن المُتغيّرات التي طالَت الموقف التركي، المُتَمثّل

بالرئيس رجب طيب أردوغان، والمعطيات الإقليمية انطلاقاً من العام 2016، ومحاولة الانقلاب على الأخير، وبين التحوّل الذي شهِده خطاب "هيئة تحرير الشام" بقيادة الجولاني، وصولًا إلى الشرع حالياً، على مختلف الصعد، وخصوصاً في الموقف المتعلّق بالقضية الفلسطينية وتطوّراتها بعد طوفان الأقصى (اذا ما أحسَنّا تفسير المؤشّرات).

ومن "فلسطين قبلة المسلمين الأولى، وحاضنة المجد الإسلامي، ولا يمكن لأيّ مسلم أن يتجاهل نداء تحريرها"، والإيمان "بأن تحرير المسجد الأقصى من رجس الاحتلال هو مهمّة كلّ المجاهدين في الأمّة، وهو من الثوابت التي لا تقبل المُساومة أو التنازل"، إلى التصريح بأننا "بإذن الله لا نصل فقط دمشق، بل القدس تنتظرنا"؛ وهناك مواقف عَبّرت عنها أيضاً بيانات صادرة عن هيئة تحرير الشام قبل سقوط النظام السوري السابق؛ مثل: "دعمنا الكامل لإخواننا في فلسطين الذين يَقفون في وجه العدوان الصهيوني، وندعو كلّ المسلمين إلى نصرتهم بكلّ الوسائل"، وصولًا إلى اعتقال قيادات فلسطينية في سوريا، وإعلان الدعم لفلسطين "دبلوماسياً وسياسياً"، كما عَبّر وزير الخارجية السوري في قمّة الدول العربية الأخيرة. وبين المُسافرين طريق وعِرة وطويلة من التجاذبات؛ بين المنهج العقائدي والإيديولوجي، الذي يجتذب من حوله الطامحين إلى تغيير "إسلاموي" ، وبين المصلحي الذي يتحكّم به عاملا " كرسي الرئاسة – ومعطيات الواقع الإقليمي والدولي".

في المرحلة الأولى لحكمه، و"في غضون ستّة أشهر، أجرى أحمد الشرع تحوّلًا لافتاً وسريعاً. فالقائد "الجهادي" الذي دخل دمشق على رأس فصائل إسلامية معارضة، بات اليوم رجل دولة يستقبله كبار الزعماء في العالم". ونقَل (موقع القدس) أن ترامب وصَفه بأنه "شاب وجذّاب وقوي"، وآخرون وصَفوه بأنه "خيار واقعي"، فيما قال المختص بالمجموعات الاسلامية في سوريا، توما بييريه، لوكالة فرانس برس "إنه راديكالي براغماتي". أما أنصاره، فانقسموا بين وصفه بالواقعي، وبين مُعارضيه من نفس الفصيل، الذين وصفوه بالانتهازي .

وفي تصريحات مُتسارعة خلال شهري أيار وحزيران، انتقل الشرع في تصريحاته من "أن دمشق تُجري مفاوضات غير مباشرة مع إسرائيل عبر وسطاء لتهدئة الأوضاع وعدم خروجها عن السيطرة"، وذلك بعد المجازر التي طالَت الساحل السوري، وتلاها التحرّك باتجاه المناطق الدرزيّة في الجنوب السوري، مُعتبرًا أن تصرّفات الكيان "عشوائية"، إلى تأطير العلاقات مع الكيان تحت عنوان "الأعداء المُشتركين". بعدها جاء موقف الشرع في لقاء مع "المجلّة اليهودية"، حيث أعرب عن رغبته في "العودة إلى اتفاق فكّ الاشتباك المُوَقّع عام 1974، ليس فقط لوقف إطلاق النار، بل كضمان أساسي لضبط النفس المُتبادل وحماية المدنيين،

وخاصة المجتمعات الدرزيّة في مرتفعات الجولان." وأكّد الشرع على ضرورة "إنهاء عصر القصف المتبادل بين سوريا وإسرائيل"، مُشيرًا إلى أن "الازدهار لن يتحقّق من الدولتين في ظلّ الخوف". وأضاف: "لدى سوريا وإسرائيل أعداء مُشتركين؛ ويمكن للبلَدين لعب دور رئيسي في الأمن الإقليمي".

سوريا والتطبيع العملي

كشفت وكالة رويترز مؤخّرًا معلومات حول زيارة قس وحاخام صهيوني إلى سوريا ولقائهما الشرع، حيث صَرّح بعدها القس جوني مور، وهو على صلة بالرئيس الأمريكي دونالد ترامب، أن "السلام" بين سوريا وإسرائيل «ممكن جداً».

وأوضحت الوكالة أن القس مور والحاخام أبراهام كوبر يُرَوّجان للحوار بين الأديان في الدول العربية منذ سنوات. ونقلَت عن مور أن الشرع "تحدّث عن القضايا التي تُثير قلَقه، وأيضًا عن إمكانية أن يكون المستقبل إيجابياً جدا." "أعتقد أن السلام ممكن جداً... لكن الأولويّة القصوى لسوريا يجب أن تكون التركيز على سوريا". وذكَر مور وكوبر أنهما " يعتقدان أن الشرع قادر بشكل فريد على وضع أجندة صنع السلام".

وقال مور، الذي دعَم علَناً اقتراح ترامب بأن تتولّى الولايات المتحدة السيطرة على غزة، إنه لم يتطرّق خلال اجتماعه مع الشرع إلى الحديث عن مؤسّسة غزة الإنسانية الأمريكية التي يَتولّى مهامها حالياً. اقترح مور وكوبر على الشرع إقامة مشروعات إنسانية مُشتركة "لهَدم الصوَر النمطيّة وتكوين جيش غير رسمي من سُفراء النوايا الحسنة".

وفيما نقَلت "رويترز" عن ترامب بعد لقائه الرئيس السوري، قوله "إن الشرع وافق على طلب تطبيع العلاقات مع إسرائيل؛ لكن الأمر سيستغرق وقتاً"، حيث حثّه ترامب على الانضمام إلى اتفاقيات «أبراهام»، فقد نشَر موقع أكسيوس مؤخرًا عن مسؤول في الكيان الاسرائيلي رغبة نتنياهو "بوساطة امريكية مع سوريا"، تتمحوَر حول " اتفاق امني جديد والعمل على اتفاق سلام شامل".

أمريكا – الشرع – وسوريا

في خطوة تعكس تحوّلاً لافتاً في السياسة الأمريكية تجاه سوريا، وافق مجلس الشيوخ الأمريكي في السابع من حزيران، على قرار شطب سوريا من قائمة "الدول المارقة". وبالتزامن، أعلن مبعوث الرئيس الأميركي إلى

سـوريا، توماس باراك، أن الولايات المتحدة وافقت على خطّة طرَحتها القيادة السـورية الجديدة للسـماح لآلاف من المُقاتلين الأجانب، الذين كانوا في السابق ضمن المعارضـة، بالانضـمام إلى الجيش الوطني، شـريطة أن يتم ذلك بشـــفافية؛ وهو ما يعتبر تفكيكاً لإحدى العقد التي أخّرت الانفتاح الأمريكي على النظام الجديد، فيما اسـتعرضـت الرئاسـة السـورية مع "قيادات وزارة الدفاع أبرز أعمال الوزارة خلال المرحلة الماضـية "، وفق ما أعلَنت الرئاســة الســورية؛ ومن المُرجّح أنها بحثت أيضــاً عمليات إعادة التموضــع الأمريكي على الأراضــي السورية التي وقَعَت بالتزامن أيضاً.

النائب في الكونغرس الأميركي، مارلين شتوتسمان، في حديث مع صحيفة "جورزاليم بوست" العبريّة، في شهر نيسـان، كشـف عن "رغبة الرئيس السـوري أحمد الشـرع في تطبيع العلاقات مع إسـرائيل"، مُشـيراً "إلى أن ذلك مرهون بشـروط، أبرزها ضـمان سـيادة سـوريا ووحدة أراضـيها". وأضـاف شـتوتسـمان عقب زيارته إلى سـوريا: "الشـرع مسـتعد للانخراط في اتفاقيات أبراهام، وهو ما سـيَجعله في وضـع جيّد مع إسـرائيل والدول الأخرى في الشرق الأوسط؛ وبالطبع مع الولايات المتحدة."

أما أبرز التحرّكات الأمريكية التي حملت مؤشّرات على إعادة تشكيل، ليس سوريا وحسب، وإنما كلّ المنطقة، فكان الإعلان عن إعادة التموضع الأمريكي في سوريا، من خلال تجميع غالبيّة القواعد العسكرية الصغيرة في قاعدة التنف، لتتحوّل إلى أكبر قاعدة عسكرية أمريكية استراتيجية في الإقليم، مع تغيير في صفة هذا الوجود من "احتلال" إبّان النظام السابق إلى "وجود شرعي" إبّان النظام الحالي، وبموافقة القيادة السورية.

هذه الخطوة تشـــير إلى أن التقاســـم بين أمريكا والفاعلين الإقليميين قد تمّ التفاهم عليه، بما فيه حفظ وحدة الأراضي السورية الراهنة (خارج الاحتلال الإسرائيلي)، وصولًا حتى الحدود مع تركيا، مع وعود ربما بمباحثات مع الجانب الإسرائيلي للوصول إلى توافقات تُرضي الجانب الإسرائيلي وتحفظ ماء الوجه السوري – التركي.

وتُعتبر إعادة التموضـــع الأمريكي في قاعدة التنف، الواقعة عند مثلّث الحدود بين ســـوريا، العراق، والأردن، التزاماً أمريكياً بالحفاظ على وجود عسـكري في سـوريا لحماية مصـالحها وأمن الكيان، يُتيح لها تعزيز المُراقبة والتحكّم في الطرق البريّة الرئيسية بين سوريا والعراق والأردن، مانعاً أي ربط بريّ بين العراق وسوريا؛ وهو ما سيُلقي بتَبعاته لاحقاً على ملف لبنان وآليات تقاسم النفوذ، وربما الجغرافيا و"التطبيع". كما وستُشَكّل عنصـر ضغط على النظام السوري وتركيا في أي مفاوضات مستقبلية حول ملف الجنوب السوري، وحتى في وجه أي مشاريع استثمارية أو تنافسية، سيما الخليجية – التركية منها، في الإقليم.

فلسطين والتفاهمات.. وتبعات مُرتقَبة:

في المرحلة الأولى لحكمه، حاول الشرع تخفيف الخطاب المتطرّف، وإعادة صياغة صورته أمام المجتمع الدولي، من أجل تحسين علاقاته مع الجميع. كما سعى لعقد اتفاقات مع قوّات مُعارضة له شمال شرق سوريا وجنوبها، لتثبيت وضعه السياسي والعسكري، مع استخدام خطاب أقلّ تشدّدًا وأكثر اعتدالًا، مُستفيدًا من صورة تركيا كنموذج براغماتي إسلامي قومي.

في المرحلة الثانية لحكم الشرع، والتي يشكّل لقاؤه ترامب مفتاحها الأساسي، يتم العمل على تأطير السياسات الخارجية لسوريا الجديدة، من خلال محاولة تثبيت التموضعات السياسية الجديدة، على المستوى الداخلي تحديداً، عبر اعتماد سياسة تَتراوح بين "الترغيب بسوريا المُزدَهرة والترهيب بأساليب مختلفة". فمن الطبيعي أن التموضعات الجديدة ستخلق شبكة من المصالح الجديدة ولاعبين جدد على الساحة السورية، إيديولوجياً وسياسياً واقتصادياً، ما سيُعيق ربما عملية تثبيت تلك التموضعات، بما فيها الرغبة بالسير في تطبيع العلاقات مع الكيان، وإخراج القضية الفلسطينية والقدس من التداول الإيديولوجي والإسلامي، ووضعها في إطار التصريحات التقليدية العربية "دعم سياسي ودبلوماسي".

ولعلّ هذه المرحلة من أكثر المراحل خطورة على نظام الشرع، الذي بات مدعوماً أمريكياً وخليجياً وفق المؤشّرات الراهنة، لكنه سيكون موضع تنافس تركي – إسرائيلي وتركي – عربي لاحقاً. وتنبع هذه الخطورة من جملة من المُعطيات؛ فمرحلة الانتقال من الإيديولوجيا إلى البراغماتية في وسط شعبي يحمل تركيبة إيديولوجية – قومية – شعبوية، ومأزوم إقتصادياً، في ظل تعثر دولي مالي، قد لا تكون بهذا المستوى من اليُسر والسهولة؛ إذ إنها في الوقت نفسه محفوفة بخطَر الانقسام الداخلي وعودة الفوضى إذا لم يتم تضمين الأطراف السورية الأخرى؛ إما لدوافع مصلحيّة، أو لاعتقادات إيديولوجية، ولاسيما إذا لم يصدق "المجتمع الدولي"، أي أوروبا وأمريكا ودول الخليج، فيما يخص الالتزامات المالية والاقتصادية. عندها سيكون من الصعب جداً إعادة رتق الخطاب الإيديولوجي من جهة، والوضع الاقتصادي من جهة أخرى، إلّا بالتخويف والترهيب.

إلى ذلك، نشرت وكالة رويترز فحوى برقيّة دبلوماسية أمريكية لترامب "تحث حكومات العالم على عدم حضور المؤتمر المقبل في نيويورك بشأن حلّ الدولتين، المُحتمَل بين إسرائيل والفلسطينيين"، وأن "الولايات المتحدة تُعارض أيّ خطوات من شأنها الاعتراف من جانب واحد بدولة فلسطينية مُفترضة، ممّا سيُضيف عراقيل

قانونية وسياسية كبيرة أمام الحلّ النهائي للصراع، ويضغط على إسرائيل في وقت الحرب، وبالتالي يدعم أعداءها."

وكان ترامب في ولايته الأولى غير مُتحمّس نسبياً لحلّ الدولتين، الذي يُعَدّ ركيزة راسخة في السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. ولم يُبدِ ترامب أي موقف من هذه القضية في ولايته الثانية؛ "لكن السفير الأمريكي لدى إسرائيل، مايك هاكابي، وهو مؤيّد قوي لإسرائيل منذ زمن، قال أخيراً إنه لا يعتقد بأن قيام دولة فلسطينية مستقلّة لا يزال هدفاً للسياسة الخارجية الأمريكية" (رويترز).

إن إعلان الإدارة الأمريكية مُعارضتها الشديدة لحلّ الدولتين، من المُرَجّح أن يُثير مخاوف الشعب السوري، ودول الإقليم عموماً، سيما إذا ما استذكرنا تصريحات ترامب المتعلّقة ب "مساحة إسرائيل الصغيرة"، واعترافه السابق بالجولان السوري كأرض إسرائيلية، والتي تتضافر مع التسريبات السابقة حول طلَب رئيس حكومة الكيان، نتنياهو، من الجانب الأمريكي، بشخص دونالد ترامب، التدخّل لإبرام "اتفاق جديد" مع سوريا، من شبه المؤكّد أنه سيُلغي "اتفاق فك الاشتباك المُوَقّع عام 1974"؛ وهو ما طالب به أحمد الشرع كمُقَدّمة للسير في تطبيع العلاقات. ولعلّ هذا المطلب هو ما يدفع إلى ما يُشبه الانقسام الداخلي، عبر اتّهام القيادة السورية الحالية بالتفريط بالمبادئ الوطنية السورية. وقد ترى بعض الفئات في هذا التقارب "خيانة"، ما قد يخلق توتّرات داخل المعارضة، أو يُعيد تشكيل خطوط الصراع؛ وهو ما يتخوّف منه الكيان الإسرائيلي والولايات المتحدة. من هنا تنبع أهمية تدعيم قاعدة التنف من جهة، وإخراج القواعد العسكرية الأمريكية الصغيرة من مساحات جغرافية قد تجعلها في مواجهة مع فئات مُعارضة، في ظلّ عدم استقرار النظام التام بعد، وتصاعد التوتّرات التي تشهدها المنطقة.

خلاصة

وفق التمهيد الإعلامي والدبلوماسي الغربي، وحتى بعض العربي، لعملية التطبيع المُرتقبة في المنطقة، واستناداً لجملة المؤشّرات المذكورة أعلاه، من المُتَوقّع في المدى القصير، أن نشهد إصراراً إسرائيلياً على الاحتفاظ بالأراضي المحتلة الجديدة في سوريا، بذريعة حفظ أمن الكيان، في الوقت الذي ستستمر القيادة السورية بغضّ الطرف عن أي مُطالبة جديّة بالأراضي المحتلّة بعد سقوط نظام بشّار الأسد، مقابل وعود واستثمارات مالية

واقتصـادية؛ وإلّا فإن الحكومة السـورية سـتَجد صـعوبة في تسـويق شـرعيّتها القومية بعد سـقوط شـرعيّتها الإيديولوجية ب "التدريج".

إن واقع التهديدات الإســـرائيلية، خلال الأزمة التي اندلعت بين نظام الشـــرع والدروز مؤخّرًا، وما أعقَبها من قصف إسرائيلي وهجوم طال محيط القصر الرئاسي، والذي تَبِعه صمت سوري عن المُطالبة بالجولان، يعني أن هذا الملف من المُرَجّح أن يدخل "غرفة التجميد"، بانتظار بلورة التطوّرات المُتسارعة في المنطقة وتداعياتها. وختاماً، قد ينفع اعتماد أردوغان البراغماتي نموذجاً في بعض الوقت، ولكن من المُرَجّح أن لا ينفع في كلّ الوقت. وهذا ما قد يُدركه أحمد الشرع في مرحلةٍ ما من عمر الجغرافيا السورية.